

مَنْ يُخْرِجُ رِجْلِي مِنَ الشَّبَكَةِ؟

(Arabic – The Lord will release my feet from the snare.)

أحبائي.. حَديثنا اليَوْمَ مَوْضوعُهُ: مَنْ يُخْرِجُ رِجْلِي مِنَ الشَّبَكَةِ؟

ومن المزمور الخامس والعشرين نقرأ العدد الخامس عشر:

"عَيْنَايَ دَائِمًا إِلَى الرَّبِّ. لِأَنَّهُ هُوَ يُخْرِجُ رِجْلِي مِنَ الشَّبَكَةِ".^١

مُنذ مَا يَقْرَبُ مِنْ ثَلَاثَةِ آلَافٍ وَخَمْسَةِ عَشَرَ عَامًا تَقْرِيْبًا. حَسَبَ مَا جَاءَ فِي بَعْضِ الْمَرَاجِعِ. كَتَبَ دَاوُدُ النَّبِيُّ بِالوَحْيِ الْإِلَهِيِّ الْمَزْمُورَ الْخَامِسَ وَالْعِشْرِينَ. وَيَا حَبْدًا لَوْ أَمَعَنَ كُلُّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ. التَّأَمَّلَ فِي كَلِمَاتِهِ الَّتِي هِيَ سِرَاجٌ مُنِيرٌ لِحَاضِرِنَا وَمُسْتَقْبَلِنَا فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ. إِنْ شَاءَ الرَّبُّ وَعِشْنَا وَتَأْتَى الرَّبُّ فِي مَجِيئِهِ. وَلِيَتَنَا نَتَعَلَّمَ مِنْ كَلِمَاتِ ذَلِكَ الْمَزْمُورِ وَمِمَّا احْتَوَاهُ مِنْ سُمُومِ الْمَعَانِي. وَلِيَتَنَا نَتَعَلَّمَ مِنْ كَاتِبِهِ دَاوُدُ النَّبِيُّ كَيْفَ تَكُونُ الْعَلَاقَةُ مَعَ اللَّهِ. فَقَدْ جَاءَتْ بِسُفْرِ أَعْمَالِ الرُّسُلِ الْأَصْحَاحِ الثَّلَاثِ عَشَرَ عَلَى لِسَانِ بُولُسِ الرَّسُولِ تِلْكَ الْكَلِمَاتُ: وَأَقَامَ (اللَّهُ) لَهُمْ دَاوُدَ مَلِكًا الَّذِي شَهِدَ لَهُ أَيْضًا إِذْ قَالَ (اللَّهُ): "وَجَدْتُ دَاوُدَ بَنَ يَسَى رَجُلًا حَسَبَ قَلْبِي. الَّذِي سَيَصْنَعُ كُلَّ مَشِيئَتِي".^٢

نَحْنُ نَتَعَلَّمُ الْكَثِيرَ مِنْ مَنَابِعَ مُخْتَلِفَةٍ. وَلَكِنْ لَا جَدْوَى مِنْ أَيِّ عِلْمٍ نَسْتَفِيهِ. مِنْ نَبْعٍ غَيْرِ النَّبْعِ الَّذِي اسْتَقَى مِنْهُ رَجُلُ اللَّهِ دَاوُدُ النَّبِيُّ. وَأَيُّ طَعَامٍ تَشْتَهِيهِ أَرْوَاحُنَا يَخْلُو مِنْ مَزَامِيرِ دَاوُدَ النَّبِيِّ هُوَ طَعَامٌ لَمْ تَكْتَمِلْ عَنَاصِرُهُ الْغِذَائِيَّةَ. كَثِيرُونَ أَصَابَهُمُ الضَّعْفُ وَالْهَزَالُ الرُّوحِيُّ مِنْ سُوءِ التَّغْذِيَةِ الرُّوحِيَّةِ السَّلِيمَةِ. وَخَاصَّةً إِهْمَالِ اسْتِنْعَابِ مَا يَحْتَوِيهِ سُفْرُ الْمَزَامِيرِ. فَلِيَتَنَا نَتَأَمَّلُ مَعَ الْمَزْمُورِ الْخَامِسَ وَالْعِشْرِينَ لِنَسْتَخْلَصَ فَوَائِدَ جَوْهَرِيَّةٍ هَامَةٍ فِيهِ:

أولاً: إِنَّ الرَّبَّ يُعْلِنُ عَن طَرَفِهِ لِيَسْلُكَهَا الْإِنْسَانُ وَالْحَقَّ لِيَسْتَرشِدَ بِهِ.. حِينَ كَانَ آدَمُ وَحَوَاءُ فِي جَنَّةِ عَدْنِ عَرَفَا طَرِيقَ اللَّهِ. إِلَى أَنْ تَحَايَلَ إِبْلِيسُ عَلَيْهِمَا فَاتِحًا عَيْنَيْ كُلِّ مِنْهُمَا عَلَى طَرِيقِ آخَرَ وَبَجْهَلٍ سَلَكُوا فِيهِ. فَأَدَى بِهِمَا إِلَى بَابِ الْخُرُوجِ مِنَ الْجَنَّةِ. وَهَذَا بَدَأَتْ الْمُعَانَاةَ وَوَاجَةَ آدَمَ وَنَسْلَهُ صُعُوبَاتِ الْحَيَاةِ وَمَشَقَاتِهَا فِي الطَّرِيقِ الْآخَرَ الَّذِي نِهَائِيَّتُهُ الْحَتْمِيَّةُ الْهَلَاكُ الْأَبَدِيَّ. إِنْ طَرِيقَ إِبْلِيسَ لَا يُوجِدُ إِنْسَانٌ لَمْ يَدْخُلْ إِلَيْهِ بِرِجْلِيهِ سِوَاءَ بَاخْتِيَارِهِ أَوْ مَدْفُوعًا إِلَيْهِ. الْكُلُّ دَخَلَ بِرِجْلِيهِ فِي شَبَكَةٍ وَلَمْ يَجِدْ سَبِيلًا لِلْخُرُوجِ وَالْخَلَّاصِ مِنْهَا. لَوْ قَوَّعَهُ بَيْنَ قَوَى الشَّرِّ الْمُحِيطَةِ بِهِ بِسَهُولَةٍ. زِدْ عَلَى ذَلِكَ الْمَسَآكِلَ الَّتِي يَحَارُ الْعَقْلُ الْبَشَرِيَّ فِيهَا وَالتِّي قَدْ يُفْجِمُنَا فِيهَا عَدُوُّ الْخَيْرِ.

لَيْسَ فِينَا مَنْ لَمْ يُفَاجَأْ بَأَنَّ فُطْنَتَهُ لَمْ تَسْعِفَهُ لِإِجَادِ بَابٍ لِلْخَلَّاصِ مِنْ وَرَطَةِ الْمَتِّ بِهِ وَلَمْ يَكُنْ يَعْمَلُ لَهَا حِسَابًا. وَلَكِنْ بِالْعَوْدَةِ إِلَى الْمَزْمُورِ الْخَامِسِ وَالْعِشْرِينَ. نَجِدُ أَنَّ مَا تَوَرَّطْنَا فِيهِ هُوَ نَتِيجَةُ حَتْمِيَّةٍ لِعَدَمِ سُلُوكِنَا فِي طَرِيقِ الرَّبِّ. وَانْحَدَعْنَا مِنْ إِبْلِيسَ وَانْحَدَبْنَا إِلَى طَرِيقِهِ الْمُؤَدِّيَ إِلَى الْهَلَاكِ الْأَبَدِيِّ. لَوْلَا نِعْمَةُ اللَّهِ الَّتِي افْتَقَدْتَنَا وَانْتَشَلْتَنَا. اِكْتَشَفَ دَاوُدُ النَّبِيُّ أَنَّ الْحَلَّ الْأَمْتَلَّ هُوَ الْاِقْتِرَابُ إِلَى اللَّهِ وَطَلَبُ مَعُونَتِهِ. لِذَلِكَ يَسْتَهْلُ مَزْمُورَهُ قَائِلًا: "إِلَيْكَ يَا رَبُّ أَرْفَعُ نَفْسِي. يَا إِلَهِي عَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ". لِيَتَنَا نَتَرَسِّمُ خُطَاةَ وَنَرَدِّدُ مَعَهُ مَا قَالَهُ فِي الْعَدَدِ الرَّابِعِ مِنْ مَزْمُورِهِ: "طَرَفَكَ يَا رَبُّ عَرَفْنِي. سُبُّكَ عَلِمْتِي". وَفِي الْعَدَدِ الثَّامِنِ يُعْطِينَا الرَّجَاءَ فِي الْهِنَا الَّذِي لَا يُخْرِزِي طَالِبُوهُ إِذْ يَقُولُ: "الرَّبُّ صَالِحٌ وَمُسْتَقِيمٌ. لِذَلِكَ يُعْلِمُ الْخُطَاةَ الطَّرِيقَ. يُدْرِبُ الْوُدْعَاءَ فِي الْحَقِّ وَيُعْلِمُ الْوُدْعَاءَ طَرَفَهُ".^٣

ثانياً: يَبْغِي عَلَيْنَا أَنْ نَطْلُبَ مِنَ اللَّهِ وَبِلِزْمِنَا مَعْرِفَةَ كَيْفَ نَطْلُبُ.. لَيْسَ مُجَرَّدُ مَعْرِفَةِ حَقَائِقِ وَاِكْتِشَافِ الطَّرِيقِ يَكْفِي. كَثِيرُونَ يَعْرِفُونَ الْكَثِيرَ عَنِ اللَّهِ. وَلَكِنَّهُمْ لَا يَعْرِفُونَ أَنَّهُ يَبْغِي عَلَيْهِمْ أَنْ يَطْلُبُوا. لِأَنَّهُمْ لَيْسَتْ لَهُمْ التَّقَى الْكَافِيَّةُ فِي إِلَهُمْ أَنَّهُ يُعْطِيهِمْ مَا يَطْلُبُونَ. فَحَرَمُوا أَنْفُسَهُمْ مِنْ أَكْثَرِ هِبَاتِ اللَّهِ لِمَنْ يَطْلُبُ. لَقَدْ جَاءَ بِإِنْجِيلِ مَتَّى

الأصْحاح السَّابِعَ وِابْنِجِيل لَوْقَا الْأَصْحاحِ الْحَادِي عَشَرَ قَوْلُ الرَّبِّ يَسُوعَ: "اسْأَلُوا تَعْطُوا، اطلبُوا تَجِدُوا، اقرعُوا يُفْتَحْ لَكُمْ. لِأَنَّ كُلَّ مَنْ يَسْأَلُ يَأْخُذُ، وَمَنْ يَطْلُبُ يَجِدُ، وَمَنْ يَقْرَعُ يَفْتَحْ لَهُ". وَقَالَ الرَّبُّ لِتِلَامِيذِهِ بِانْجِيلِ يُوحَنَّا الْأَصْحاحِ الرَّابِعِ عَشَرَ: "وَمَهْمَا سَأَلْتُمْ بِاسْمِي فَذَلِكَ أَفْعَلُهُ لِيَتِمَّجِدَ الْأَبُ بِالْإِبْنِ. إِنْ سَأَلْتُمْ شَيْئًا بِاسْمِي فَأَيُّ أَفْعَلُهُ"^١.

لَقَدْ رَفَعَ دَاوُدُ النَّبِيُّ طَلِبَتُهُ فِي مَرْمُورِهِ الْخَامِسِ وَالْعِشْرِينَ وَالْعَدَدِ الْحَادِي عَشَرَ قَائِلًا: "مِنْ أَجْلِ اسْمِكَ يَا رَبُّ اغْفِرْ أُنْمِي لِأَنَّهُ عَظِيمٌ". إِنَّ هَذِهِ الطَّلِبَةَ تَرْتَكِزُ عَلَى ثَلَاثَةِ أُسُسٍ هَامَةٍ: (١) اسْمُ اللَّهِ.. فِدَاوُدُ النَّبِيُّ يَقُولُ "مِنْ أَجْلِ اسْمِكَ يَا رَبُّ". فَاسْمُ اللَّهِ هُوَ شَفِيعُهُ الْوَحِيدُ لِيَقْدَمَ طَلِبَتُهُ بِجَسَارَةٍ وَجُرْأَةٍ. إِنَّ دَاوُدَ النَّبِيَّ يَرْتَكِنُ عَلَى اسْمِ اللَّهِ وَلَيْسَ عَلَى غَيْرِهِ (٢) مَضْمُونِ الطَّلِبَةِ.. هُوَ "اغْفِرْ أُنْمِي" وَاتَّخِذْ دَاوُدَ النَّبِيَّ يَضَعُ إِثْمَهُ فِي كِفَّةٍ مِيزَانَ ثُمَّ يَتَطَلَّعُ إِلَى بَرِّ اللَّهِ فِي الْكِفَّةِ الْأُخْرَى فَيَرَى. وَيَا هَوْلَ مَا يَرَى. (٣) فَدَلْحَةُ إِثْمِهِ.. "لِأَنَّهُ عَظِيمٌ"^٢.

لِيتَنَا حِينَ نَتَوَاجَدُ فِي مَحْضَرِ اللَّهِ لِنُصَلِّيَ أَنْ نَقَارَنَ خَطَايَانَا الَّتِي ارْتَكَبْنَاهَا وَأَثَامَنَا الَّتِي اقْتَرَفْنَاهَا بِالثَمَنِ الَّتِي دَفَعَهَا يَسُوعُ الْمَسِيحُ عَلَى صَلِيبِ الْجَلِجَّةِ. إِنَّ إِثْمَنَا عَظِيمٌ بِالْقَدْرِ الَّتِي كَلَفَ الْأَبُ السَّمَاوِيَّ أَنْ يَبْدَلَ دَمَ الْإِبْنِ الْوَحِيدِ. لِكَيْ لَا يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ. بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّةُ. لَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبِ إِشْعِيَاءَ النَّبِيِّ حِينَ رَأَى السَّيِّدَ الرَّبَّ جَالِسًا عَلَى كُرْسِيِّ عَالٍ وَمُرْتَفِعٍ وَأَذْيَالُهُ تَمَلَأُ الْهَيْكَلَ أَنَّهُ بِهَذَا الْقَدْرِ مِنْ عَدَمِ الْاسْتِحْقَاقِ وَالْأَهْلِيَّةِ. وَهُوَ أَمَامَ الطَّلَعَةِ الْبَيْهِيَّةِ لِمَلِكِ الْمُلُوكِ وَرَبِّ الْأَرْبَابِ. فَلَمْ يَسْعَهُ إِلَّا أَنْ يَصْرُخَ مِنْ أَعْمَاقِ قَلْبِهِ قَائِلًا: "وَيْلٌ لِي إِنِّي هَلَكْتُ! لِأَنِّي إِنْسَانٌ نَجَسْتُ الشَّفَنِينَ! وَأَنَا سَاكِنٌ بَيْنَ شَعْبٍ نَجَسَ الشَّفَنِينَ. لِأَنَّ عَيْنِي قَدْ رَأَتَا الْمَلِكَ رَبَّ الْجُنُودِ"^٣.

ثَالِثًا: الْبَرَكَاتُ الَّتِي تَنْتَظِرُنَا.. بَعْدَ اكْتِشَافِ طَرِيقِ الرَّبِّ وَطَلْبِ مَعْرِفَتِهِ الْمَعْرِفَةِ الْحَقِيقِيَّةِ وَسُؤَالِهِ كَيْ يَغْفِرَ خَطَايَانَا مِنْ أَجْلِ اسْمِهِ. تَقْبِضُ عَلَيْنَا بَرَكَاتُ الرَّبِّ. أَمَّا الْبَرَكَةُ الْأُولَى: فَهِيَ الْاسْتِجَابَةُ بِتَعْلِيمِنَا طَرِيقَهُ فِي الْعَدَدَيْنِ الثَّانِي عَشَرَ وَالثَّلَاثِ عَشَرَ يَقُولُ: "مَنْ هُوَ الْإِنْسَانُ الْخَائِفُ الرَّبِّ. يُعَلِّمُهُ طَرِيقًا يَخْتَارُهُ. نَفْسُهُ فِي الْخَيْرِ تَبِيْتُ وَنَسَلُهُ يَرِثُ الْأَرْضَ". الْبَرَكَةُ الثَّانِيَّةُ: هِيَ أَنَّ الرَّبَّ يَكْشِفُ الْحَقَائِقَ الْإِلَهِيَّةَ وَالْأَسْرَارَ الْأَزَلِيَّةَ لِمَنْ يَتَّقِيهِ فِي الْعَدَدِ الرَّابِعِ عَشَرَ يَقُولُ: "سِرُّ الرَّبِّ لِخَائِفِيهِ وَعَهْدُهُ لِتَعْلِيمِهِمْ". الْبَرَكَةُ الثَّلَاثِيَّةُ: التَّحْرِيرُ مِنَ الْقَبُودِ وَالشَّبَاكِ الَّتِي يَنْصَبُهَا الْعَدُوُّ فِي الْعَدَدِ الْخَامِسِ عَشَرَ يَقُولُ: "عَيْنَايَ دَائِمًا إِلَى الرَّبِّ. لِأَنَّهُ هُوَ يُخْرِجُ رِجْلِي مِنَ الشَّبَكَةِ". إِنَّ عَيْنِي دَاوُدَ النَّبِيِّ لَيْسَتْ تَحَوُّ الظُّرُوفَ الْمُحِيطَةَ بَلْ إِلَى الرَّبِّ. إِنَّهُ فِي سَلَامٍ رَغَمَ سِيَهَامِ الْعَدُوِّ الْمُتَهَبَةِ وَشَبَاكَةِ الْمَنْصُوبَةِ.^٤

إِنَّ عَيْنِي دَاوُدَ النَّبِيِّ دَائِمًا إِلَى الرَّبِّ حَتَّى لَوْ انزَلْتُمْ رِجْلِي فِي شَبَكَةِ نَصْبِهَا الْعَدُوُّ كَمَصِيدَةٍ لِإِذْلَالِهِ. إِنَّهُ يَسْتَمِدُّ سَلَامَهُ وَقُوَّتَهُ مِنَ الرَّبِّ. وَهُوَ يَصْبِرُ رَغَمَ الضِّيقَاتِ. لِأَنَّهُ يَنْظُرُ إِلَى الْإِلَهِ الْقَدِيرِ بِكُلِّ تَقَةٍ وَإِيمَانٍ حَتَّى يُخْلِصَهُ مِنْهَا لِذَلِكَ يَقُولُ: "عَيْنَايَ دَائِمًا إِلَى الرَّبِّ. لِأَنَّهُ هُوَ يُخْرِجُ رِجْلِي مِنَ الشَّبَكَةِ". إِنَّ مَنْ يَقُولُ: عَيْنَايَ دَائِمًا إِلَى الرَّبِّ. يَحِقُّ لَهُ أَنْ يُرَدِّدَ كَلِمَاتِ الْمَرْمُورِ السَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ وَهُوَ أَيْضًا (لِدَاوُدَ): "الرَّبُّ نُورِي وَخَلَّاصِي مِمَّنْ أَخَافُ. الرَّبُّ حِصْنُ حَيَاتِي مِمَّنْ أَرْتَعِبُ! إِنَّ نَزَلَ عَلَيَّ جَيْشٌ لَا يَخَافُ قَلْبِي. إِنَّ قَامَتْ عَلَيَّ حَرْبٌ فَفِي ذَلِكَ أَنَا مُطْمَئِنٌّ".^٥

لِيتَنَا نَسْمَحُ لِقَبِيضِ مِنْ نُورِ الْإِيمَانِ لِيَمَلَأَ قَلْبُونَا تَقَةً فِي ذَلِكَ الَّذِي جَاءَ مِنَ السَّمَاءِ لِخَلَّاصِنَا وَلِيَفِكَ قِيُودُنَا وَيُحَرِّرَنَا. لِيتَنَا نَنْبِتُ عِيُونَنَا عَلَى رَبِّنَا يَسُوعَ. فَهُوَ رَجَاؤُنَا الَّذِي يُخْرِجُنَا مِنْ أَىِّ مِحْنَةٍ. لِأَنَّنَا نَحْيَا بِهِ وَلَهُ وَبِعُونِهِ نَحْنُ ظَافِرُونَ مُنْتَصِرُونَ. وَلِنَقُلْ مَعَ دَاوُدَ النَّبِيِّ: "عَيْنَايَ دَائِمًا إِلَى الرَّبِّ. لِأَنَّهُ هُوَ يُخْرِجُ رِجْلِي مِنَ الشَّبَكَةِ".

أَدْعُوكَ أَحَى لِتَشْتَرِكَ مَعِي فِي تِلْكَ الصَّلَاةِ: أَبَانَا السَّمَاوِيَّ.. أَشْكُرُكَ لِأَنَّكَ سَلَامِي فِي الضِّيقَاتِ. وَحِصْنِي الْمَنِيعُ إِذَا قَامَتْ عَلَيَّ حَرْبٌ. أَسْتَبْدُ عَلَى وَعُودِكَ الصَّادِقَةِ فِي كِتَابِكَ الْمُقَدَّسِ. اسْمُكَ بَرُّجٌ حَصِينٌ أُرْكَضُ إِلَيْهِ وَأَتَمَنِّعُ. أَطْلُبُكَ فَتَسْتَجِيبَ لِي. أَنْظِرْ إِلَيْكَ فَاسْتَنْبِرُ. وَمِنْ كُلِّ مَخَاوِفِي تَنْقِذْنِي. أَرْفَعُ صَلَاتِي فِي اسْمِ يَسُوعَ الْبَارِّ. مُتَكِلًا عَلَى صِدْقِ وَعْدِكَ. يَا مَنْ قَلْتُ: مَنْ يَقْبَلُ إِلَيَّ لَا أَخْرِجُهُ خَارِجًا.

أَحَى الْقَارِئُ الْعَزِيزُ.. إِنَّ أَرَدْتِ سَمَاعَ تِلْكَ الرَّسَالَةِ أَوْ غَيْرَهَا سَتَجِدُ ذَلِكَ فِي:

<http://www.muhammadanism.org/Media/Audio/BetterLife/Default.htm>

^١ إنجيل متى ٧: ٧-٨ ، إنجيل لوقا ١١: ١٠ ، إنجيل يوحنا ١٤: ١٣-١٤

^٢ سفر المزامير ١٥: ٢٥

^٣ سفر إشعيا ٦: ٥

^٤ سفر المزامير ٢٥: ١٢ & ١٣ & ١٤ & ١٥

^٥ سفر المزامير ٢٧: ١ & ٣